

سياسات القصر البيزنطي في عهد

إيريني وقسطنطين السادس

(769-797م)

د. فائزة صالح سجينى\*

### ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على عصر الإمبراطورة إيريني (769-802م) Irene، محاولة الإجابة عن عدة تساؤلات؛ من أين جاءت؟ وكيف تحولت من فتاة عادية ليس لها ذكر، جاءت من مدينة أثينا، لتغدو إمبراطورا مطلقا للإمبراطورية؟ وكيف استطاعت التغلب على المصاعب والعقبات التي اعترضت طريقها؟ ثم إلى أى مدى نجحت أولا أن تصبح أول امرأة تقترب من العرش البيزنطي (وصية على ابنها القاصر)، ثم تصل إليه أخيرا بوصفها إمبراطورة تتفرد بالأمر مضطلة بمهام الحكم وتصريف شئون الدولة؟

---

\* جامعة الملك عبد العزيز، جدة، قسم التاريخ.

# **The Byzantine Palace Policies in the Era of Grene and Constantine (769-797)**

**Dr.Faizah M Saleh A.Sajenin**

## **Abstract**

This study aims to examine the age of Empress Irene (769-802 A. D.)It seek to answer queries about Irene's origin and the way she was transformed from an average, typical, unnoticed common girl coming from the city of Anthems to an absolute Empress of the Empire .the paper also deals with the hardships and obstacles that obstructed her way to the Empire.

The issue of the degree of her success in becoming the first woman to get so close to the Byzantine Empire as the legal guardian of her under age son Emperor is also studied. The study attempts to record how Irene finally sit on the Byzantine throne as an Empress in full charag of regulating and governing the state problemes and duties.

يعد عصر الإمبراطورة إيريني (769-802م) Irene من كل الأوجه عصرا جديرا بالدراسة والبحث. وينبع ذلك من كونه شهد أول محاولة لامرأة بيزنطية كي تجد لها مكانا بارزا في السلطة، امرأة لا حدود لطموحها السياسي، ولذلك لم تكثف بكونها وصية على إمبراطور قاصر، بل راحت تسعى بكل ما أوتيت من قوة وسبل، كي تتحى ابنها، لتعطي العرش البيزنطي بوصفها حاكما منفردا ومطلقا في شئون الإمبراطورية.

وتحاول هذه الدراسة أن تسلط أضواء جديدة على عصر هذه الإمبراطورة؛ من أين جاءت؟ وكيف تحولت من فتاة عادية ليس لها ذكر، جاءت من مدينة أثينا، لتغدو إمبراطورا مطلقا للإمبراطورية؟ وكيف استطاعت التغلب على المصاعب والعقبات التي اعترضت طريقها؟ ثم إلى أي مدى نجحت أولا أن تصبح أول امرأة تقترب من العرش البيزنطي (وصية على ابنها القاصر)، ثم تصل إليه أخيرا بوصفها إمبراطورة تتفرد بالأمر مضطلة بمهام الحكم وتصريف شئون الدولة؟

وُلدت إيريني بأثينا فيما بين عامي 750 و755م<sup>(1)</sup>، ولا يعرف عنها إلا أنها عاشت يتيمة في كنف أسرتها المعروفة باسم سارانتابيخوس Sarantapechos ذات النّقل السياسي في إقليم اليونان<sup>(2)</sup>. وبمنظرة متفحصة لوضع إيريني يجد الباحث صعوبة في تفسير سبب اختيار الإمبراطور قسطنطين الخامس لها زوجة لابنه ليو الرابع، خاصة أن ميولها الدينية المؤيدة لعبادة الأيقونات، كما سيظهر في سيرتها اللاحقة، كان من شأنها أن تقف حجر عثرة يحول دون اختيارها عروسا لوريث العرش البيزنطي، كما أن أسرتها لم تكن أرستقراطية أو معروفة في دوائر الحكم بالقسطنطينية<sup>(3)</sup>.

وتعتقد جوديث هيرين Judith Herrin أن سبب اختيار إيريني عروسا لوريث العرش يرجع إلى أهمية أسرتها ونقلها السياسي في اليونان<sup>(4)</sup>، غير أن ضالة المعلومات عن هذه الأسرة دفعت عددا من الباحثين إلى الافتراض أن إيريني ربما اختيرت عن طريق طقس "عروض العرائس Bride Shows"، خاصة أنه غدا وسيلة معروفة ومستخدمة بوضوح لانتقاء زوجات لورثة العرش في خلال الفترة منذ نهاية القرن الثامن حتى نهاية القرن التاسع<sup>(5)</sup>، وفي ظل عدم وجود دليل دامغ يؤكد مشاركة إيريني في أحد هذه العروض، يظل اختيارها عروسا لليو الرابع أمرا غامضا.

على أية حال؛ بلغت إيريني العاصمة الإمبراطورية أول نوفمبر 769م، مصحوبة بموكب أسطوري ضم عددا من السفن الحربية المعروفة باسم الدرmonates Dromones والشلانديات Chelandia، وجميعها مزينة بالحريز،

وبدا كبار رجال الدولة وزوجاتهم ينتظرون بشغف رؤية تلك الفتاة الأثينية المجهولة التي ساق لها القدر أن تصبح عروسا لوريث العرش الإمبراطوري. وفي 17 ديسمبر تم الاحتفال بطقوس الزواج مصاحبة لمراسم تتويجها إمبراطورة. وفي 14 يناير أنجبت طفلها قسطنطين (قسطنطين السادس)، وبوفاة حماها قسطنطين الخامس في أغسطس 775م أصبح زوجها ليو الرابع إمبراطورا على العرش<sup>(6)</sup>.

وباعتلاء ليو الرابع العرش منفردا، راح يمارس سياسة أسلافه في تحطيم الأيقونات التي كانت قد بلغت ذروتها في عهد أبيه قسطنطين الخامس<sup>(7)</sup>. ويبدو أن إيريني أخفت ميولها الدينية وقتذاك، وظلت تمارس عبادتها للأيقونات سرا. وتشير المصادر إلى أن إيريني كانت من أعضاء الجماعة الموالية لعبادة الأيقونات بالقصر، وأن ليو الرابع وجد في حجرتها أيقونات؛ "وجد تحت وسادتها أيقونتين. وبعد استقصاء علم أن بعض موظفي القصر قد جلبها إليها، فأخضعهم لعقاب قاس، أما هي فقد وبخها بعنف سائلا إياها: ألم تقسمي لوالدي الإمبراطور بأن تحافظي على إيماننا؟ فأجابته بأنها لم تر هاتين الأيقونتين من قبل، فقاطعهما وهرج فراشها"<sup>(8)</sup>.

ولا شك في أن وفاة ليو الرابع في 8 سبتمبر 780 م جاءت لتقدم لإيريني الفرصة كي تمارس السلطة السياسية بوصفها وصية على ابنها القاصر الذي لم يكن قد تجاوز حينها العاشرة من عمره. غير أن انتقال السلطة إليها لم يكن من المتوقع أن يتم بصورة هادئة، خاصة مع وجود أشقاء لليو الرابع على قيد الحياة. حقيقة أن ليو الرابع في أثناء حياته كان قد توج ابنه إمبراطورا شريكا عام 776م، برغم أنه لم يكن قد تجاوز الخامسة، ودفع الجيش والسناتو والشعب إلى القسم بالولاء له، وعدم قبول إمبراطور غيره ومن نسله. غير أن عددا من كبار رجال الدولة رأوا في نقفور Nikephore شقيق ليو الرابع الخيار الأفضل، خاصة مع وجود صبي قاصر، وامرأة طموح، فضلا عن ميولها الأيقونية المعروفة للجميع.

وكانت تلك العقبة الأولى التي صادفت إيريني منذ اللحظة الأولى التي تطلعت فيها إلى العرش الإمبراطوري، واعتمدت في إزالتها على أتباعها داخل القصر، ونجحت في القضاء على المؤامرة في مهدها، وتم اعتقال أقطابها ونفيهم إلى أحد الأديرة، وكان من بينهم بارداس Bardas القائد السابق لثيم أرمنييا Armeniacs، وجريجوري لغثيث الدروموس Gregory Logothete of the Dromos. أما نقفور وبقية أشقائه الأربعة فقد رُسموا كهنة، واجبروا على أداء الطقوس الكنسية على رعوس الأشهاد ليلة عيد الميلاد في كنيسة القديسة صوفيا<sup>(9)</sup>.

وهكذا، تخلصت إيريني من منافسيها، وبات الطريق مفتوحا أمامها لكي تضع التاج فوق رأسها، وتمارس سلطة مطلقة بوصفها وصية على صبي قاصر. غير أنها فيما يبدو لم تتشأ أن تثير أسرة زوجها ضدها، خاصة مع تخلصها من أشقاء ليو الرابع الذكور، لذلك اتجهت إلى شقيقتهم أنثوسا Anthousa تعرض عليها مشاركتها في الوصاية على ابنها القاصر. وربما كانت إيريني تدرك مقدما أن أنثوسا بميولها التقيفية والخيرية بعيدة تمام البعد عن كونها منافسا خطيرا لها، إذا ما قبلت مشاركتها الوصاية. ولعلها توقعت أيضا أن ترفض أنثوسا هذا العرض مفضلة أن تتأى بنفسها عن دهاليز السياسة ودسائسها، لتكرس نفسها للأعمال الخيرية؛ وهو ما حدث بالفعل<sup>(10)</sup>، ولعل هذا يعد مبررا وجيها لاختلاف أسلوب تعامل إيريني مع أشقاء ليو الرابع وشقيقته.

ومن الملاحظ؛ أن الباحثين الدارسين لقضية مشاركة المرأة في السلطة السياسية في بيزنطة، اتفقوا على تصنيف نسوة العرش اللاتي مارسن السلطة السياسية إلى أربع فئات محددة: وصية على إمبراطور قاصر، وزوجة للإمبراطور، وإمبراطورة منفردة، ووصية ثم إمبراطورة منفردة<sup>(11)</sup>. والفئة الأخيرة تمثلها الإمبراطورة إيريني فقط. فعلى مدار التاريخ البيزنطي الممتد إلى ما يقرب من أحد عشر قرنا لم يشهد العرش البيزنطي حالة مثل حالة إيريني، ولاشك في أن وصول إيريني إلى السلطة جاء انعكاسا لقيمة أيديولوجية الأمومة في المجتمع البيزنطي، فالقانون البيزنطي اعتبر الأم أكثر وأقرب شخص يحق له الوصاية على القصر بعد وفاة الأب، فالأرمل وفقا لذلك القانون "تصبح رأس الأسرة، تؤدي المهام التي يقتضيها هذا الدور، وتدير الأملاك، وتشرف على تعليم أولادها وزواجهم"<sup>(12)</sup>.

غير أن إيريني بدت منذ اللحظة الأولى غير قانعة بأن تمارس السلطة وفق أيديولوجية الأمومة، أو بعبارة أخرى: وفق حق الوصاية، وتجلي ذلك من خلال سعيها لإزاحة وليدها جانبا لممارسة سلطات الحاكم المطلق، وقد ظهر ذلك واضحا في العملات الأولى لفترة الوصاية؛ إذ أشارت إلى قسطنطين بوصفه إمبراطورا شريكا، بدون أن يحمل شارات الملك، بينما ظهرت هي في كامل الهيئة الإمبراطورية التقليدية<sup>(13)</sup>.

أما عن سياسة إيريني الخارجية في خلال فترة وصايتها، فقد استلھتها بالبحث عن حليف خارجي قوى، ورنّت ببصرها صوب ملك الفرنجة شارلمان الذي بدأ نجمه يعلو في سماء الغرب الأوربي وقتذاك، وكان شارلمان بالنسبة إليها حليفا مثاليا لا يساعدها فقط في دعم مركزها في حكم بيزنطة، بل أيضا في الأراضي البيزنطية جنوب إيطاليا وصقلية؛ وهو الأمر الذي دفعها إلى تقديم عرض بمشروع تحالف

ومصاهرة سياسية تجمع ولدها قسطنطين وروترود Rotrud ابنة شارلمان. ولم يكن ذلك الأمر بالجديد في السياسة البيزنطية، فمنذ سنوات قليلة كان هناك مشروع تحالف بين بيبين الثالث Pippin III والد شارلمان وقسطنطين الخامس يتمثل في خطبة ابنة الأول جيزيلا Gisela من ليو الرابع<sup>(14)</sup>، ولاشك في أن هذا العرض كان يحمل دلالات مهمة للملك الفرنجي إذا ما غدت ابنته أول أميرة غربية تزف إلى العرش البيزنطي. على أية حال أرسلت إيريني سفارة رفيعة المستوى للتفاوض حول ترتيبات الزواج، ضمت أحد كبار معلمى القصر وهو الخصى إليزياس Elissaios الذى عهد إليه بالبقاء مع العروس الصغيرة لتلقينها الحروف اليونانية وتعليمها مراسم البلاط البيزنطى<sup>(15)</sup>.

وبرغم محاولات إيريني دعم مركزها في السنوات الأولى من وصايتها؛ فإنه كان مقدرا عليها أن تواجه عددا من المؤامرات أثرت بشكل جوهري في تفكيرها السياسى وفلسفتها في الحكم بعدئذ. وكانت أولى هذه المؤامرات من جانب إبيديوس Elpidios الذى عينته إيريني قائدا عاما على صقلية في فبراير 781م، لكنه شق عصا الطاعة، وأعلن نفسه إمبراطورا، غير أن محاولته فشلت بسبب رفض القوات البيزنطية في صقلية الالتفاف حوله، وقيام إيريني باعتقال زوجته وأبنائه وإلقاءهم في سجن برايتوريوم Praetorium<sup>(16)</sup>، وإرسالها أسطولا بقيادة الخصى ثيودور Theodore لمحاربة إبيديوس، الذى اضطر بعد هزيمة قاسية إلى الفرار نحو المسلمين في شمال إفريقيا ليعلن إسلامه، ومما له دلالة - حسب رواية ثيوفانيس - أن المسلمين هناك استقبلوه بحفاوة بالغة بوصفه إمبراطورا لبيزنطة<sup>(17)</sup>.

ومتلما شهدت الجبهة الغربية مؤامرة ضد إيريني، شهدت الجبهة الشرقية مؤامرة أخرى، قادها أحد قادة الجيش في الشرق يدعى تاتزاتيوس Tatzatio، الذى انتهاز فرصة هجوم إسلامى على الحدود الشرقية، وانضم إلى المسلمين. وقد فسر ثيوفانيس خيانة تاتزاتيوس بكرهيته لمستشار إيريني الخصى ستوراقيوس Staurakios الذى "كان في ذلك الحين يرأس كل شيء، ويدير الأمور كافة"<sup>(18)</sup>. ولا شك في أن إيريني دفعت ثمن هذه الخيانة غاليا؛ إذ باتت الأناضول بأكملها مكشوفة أمام المسلمين؛ وهو مما اضطرها إلى دفع جزية سنوية كبيرة تقدر بنحو تسعين ألف دينار، لقاء صلح لمدة ثلاث سنوات، هذا فضلا عن عشرة آلاف عباءة من الحرير، وتزويد الجيوش الإسلامية بالأدلاء والمؤن في خلال تراجعها<sup>(19)</sup>.

على أن تبرير خيانة تاتزاتيوس بكرهيته لمستشار إيريني، كما يذهب ثيوفانيس، أمر يبدو غير منطقي بالنسبة إلى قائد مدرب ذى سيرة

عسكرية مشرفة دامت عشرين عاما، فهل كان تاتراتيوس يلقي كل هذا التاريخ وراء ظهره وينضم إلى المسلمين، مما يجعله في صورة الخائن أمام أعين بني وطنه، فقط من أجل كراهيته لستوراقبيوس؟! وهنا تبدو رواية المؤرخ الأرمني جيفوند Ghevond أكثر واقعية؛ إذ يفسر خيانة تاتراتيوس بغضبه لأنه فقد مكانته وحظوته في البلاط الإمبراطوري، ويبدو أنه كان أحد الذين أضرروا جراء سياسة إيريني الرامية إلى إقصاء بطانة قسطنطين الخامس وقادته عن المراكز العليا في الإمبراطورية<sup>(20)</sup>.

ويبدو أن استخدام إيريني للخصيان على نطاق واسع في قيادة الحملات العسكرية المهمة أثارت السخط بين القادة العسكريين، خاصة أولئك الذين مكثوا لأنفسهم بين فرقهم منذ عهد قسطنطين الخامس. ويبدو أن سطوتهم ونفوذهم كان سببا دفع إيريني إلى ملء الفرق العسكرية برجال من بطانتها، واستئصال نفوذ القادة الموالين لقسطنطين الخامس ونسله، وهم أعداء متعصبون لعبادة الأيقونات، الذين هم بلا شك سوف يشكلون عقبة قوية أمام طموحاتها السياسية وميولها الدينية. وكانت البداية الناجحة لخصيان إيريني عندما أرسلت ستوراقبيوس لمحاربة السلاف شمال اليونان، فشن هجوما على البلوبونيز، وتقدم نحو سالونيك، وأجبر السلاف على الرضوخ، ودفع إتاوة سنوية ضخمة، وقل عائدا إلى العاصمة محملا بالغنائم والأسرى، وكان احتفالا مهيبا صاحبا في مضمار الخيل "الهيبيروم" يناير 784م<sup>(21)</sup>.

وفي مايو من العام نفسه قامت قوات إيريني بمسيرة احتفالية نحو تراقيا Thrace، وأعيد بناء بيرويا Beroia التي باتت تحمل اسم إيرينوبوليس Irenoupolis أو "مدينة إيريني"، كما تم إعادة بناء ميناء أنخيالوس Anchialos على البحر الأسود، وتأسيس ثيم جديد أطلق عليه "مقدونيا" Macedonia. ويبدو أن هذه السياسة العمرانية كانت تهدف إلى دعم الحدود الشمالية في مواجهة البلغار، وإعادة توطين المناطق التي دمرت على يد السلاف<sup>(22)</sup>.

وبهذه النجاحات التي أحرزت على الحدود الشمالية في مواجهة البلغار والسلاف، والتحالف المزمع مع الغرب الأيقوني، باتت إيريني - فيما يبدو - في وضع يسمح لها ببدء برنامجها الديني. وثيوفانيس نفسه - المتحمس لعبادة الأيقونات - يلمح إلى أن سياسة إيريني الدينية باتت واضحة في منتصف عام 781م؛ إذ يذكر: "منذ ذلك الحين بدأت التقية (إيريني) تتحدث بحرية، وانتشرت رحمة الرب، وبات الباحثون عن الخلاص قادرين على هجر العالم بدون عائق، وفتحت الأديرة أبوابها، وعادت كل الأمور الخيرة"<sup>(23)</sup>.

وكانت أولى خطوات إيريني في برنامجها الديني، تعيين بطريك جديد

لكنييسة القسطنطينية، يكون مواليا لها، والأهم لعبادة الأيقونات. وفي ليلة عيد الميلاد عام 784م تم تنصيب تاراسيوس Tarasios بطريركا<sup>(24)</sup>، وفي أغسطس من العام التالي أرسل تاراسيوس دعوة إلى البابا في روما وبطاركة الإسكندرية وأنطاكية لحضور مجمع مسكوني، وبدأ توافد مندوبي الكنائس والتأم معهم في كنييسة الرسل أول أغسطس 786م، في حضور إيريني وولدها. وبطبيعة الحال لم تكن فرص نجاح هذا المجمع كبيرة، خاصة في ظل وجود عدد كبير من رجال الدين الذين رفضوا الحضور، واحتشدوا للتظاهر في المدينة، في حين عسكرت فرقة الحرس الإمبراطوري (التاجماتا Tagmata أو حرس النخبة) قبالة الكنييسة مهددة بقتل أعضاء من الوفود المشاركة في المجمع. وعبثا حاولت إيريني قمع التمرد. وفي النهاية اضطرت إلى فض المجمع. وتردد بين جنابات القسطنطينية هتاف الأساقفة المناهضين للأيقونات: "لقد انتصرنا"<sup>(25)</sup>.

هكذا؛ وضح أن الجيش لا يزال يمثل عقبة قوية أمام مشروعات إيريني. حقيقة أنها كانت قد اتخذت إجراءات تدريجية لإقصاء القادة العسكريين الموالين للأسرة الأيسورية، المعينين من قبل قسطنطين الخامس، وبات معظم قادة الجيش من أتباعها المخلصين، لكنها واجهت الآن فرقة التاجماتا أو حرس النخبة، المؤلفة من جنود وقواد تم تجنيدهم في عهد قسطنطين الخامس<sup>(26)</sup>، وكان عليها أن تسرع في معالجة الموقف، فأرسلت إلى مستشارها ستوراقبوس، الذي كان وقتئذ يقود جيشا لصد هجوم إسلامي على الحدود الشرقية، وأمرته بطلب دعم قوات ثيمات الشرق في تراقيا Thrace وبيثينيا Bithynia وجلبها إلى العاصمة، في الوقت الذي أصدرت أمرا للقوات المرابطة بالقسطنطينية بالمسير نحو مالاجينا Malagina، نقطة تجمع القوات في ثيم الأوبسيق<sup>(27)</sup> Opsikion للحملة الشرقية. وسرعان ما حاصرت قوات ثيمات الشرق مالاجينا، وسُرحت القوات المحاصرة بداخلها، ونفى أفرادها بأسرهم وشنتوا عبر الأقاليم المختلفة. ولا شك في أن تسريح التاجماتا أضعف من دفاعات الإمبراطورية، غير أن إيريني وجدته إجراء استراتيجيا ضروريا. وبخبرنا ثيوفانيس أنها بعدئذ شكلت جيشها الخاص من رجال طائعين وموالين لها، كما أسست فرقة حرس شخصي عرفت بالـ watch.<sup>(28)</sup>

هكذا؛ باتت الظروف مهيأة أمام إيريني لعقد مجمعها المسكوني، لكنها تعلمت من تجربة المجمع السابق، ولذلك قررت أن تعقد هذه المرة بعيدا عن القسطنطينية وما تحتويه من عناصر مناهضة لعبادة الأيقونات، واستقر رأيها على مدينة نيقية بآسيا الصغرى، تلك المدينة التي شهدت أول مجمع مسكوني في تاريخ المسيحية في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير عام 325م<sup>(29)</sup>. وفي



سبتمبر عام 787م التأم عقد المجمع المسكوني السابع، أو مجمع نيقية الثاني، ووقع حضوره على وثيقة شجب اللايقونية وعدها هرطقة. وفي الجلسة الختامية تم استدعاء الأساقفة الحاضرين للمثول أمام الحضرة الإمبراطورية بقصر ماجنورا Magnaura في 23 أكتوبر، ووقعت إيريني على الوثيقة قبل ولدها، عكس البروتوكول المتبع، ولقبت نفسها مع ولدها "هيلينا الجديدة وقسطنطين جديد" (30).

وبرغم ما حققته إيريني من نجاحات حتى تلك اللحظة؛ فإنه من السذاجة التصور وقتذاك أن الطريق بات مفروشا أمامها بالورود، فالمصاعب والعقبات كانت لا تزال وستظل تعترض طريقها، فقسطنطين كان قد شب عن الطوق ولم يعد صبيًا قاصرا، فقد بلغ السابعة عشرة من عمره، وبات قادرا على تسلم زمام الحكم، في وقت لم تبد إيريني أية إشارة إلى إمكان الابتعاد عن الأضواء لصالح ولدها. وحتى ذلك الحين راحت إيريني تتعامل مع ولدها وكأنه طفل صغير، فقد راحت تبحث له عن عروس بعد فشل مفاوضاتها مع شارلمان حول مشروع تزويجه من روترو، مبتدعة بذلك أول مثال معروف لطقس "عروض العرائس" Bride Shows، ويحدثنا عنه كل من ثيوفانيس Theophanes وكتاب سيرة القديس فيلاريثوس المعطاء St. Philaretus the Almsgiver (31)؛ إذ يشير ثيوفانيس إلى أن الإمبراطورة إيريني أرسلت وفدا من القضاة برئاسة البروتوسباتاريوس ثيوفانيس protospatharios Theophanes للبحث عن عروس تليق بابنها قسطنطين السادس (780 - 797م) Constantine VI الذي كان قد بلغ الثامنة عشرة من عمره (32)، ويفهم من كتاب سيرة القديس فيلاريثوس أن إيريني كانت حريصة على عدم ترك حرية الاختيار لولدها، فهي التي اختارت العروس من بين ثلاث عشرة فتاة رشح من قبل القضاة للمشاركة في العرض، وكانت ماريّا حفيدة فيلاريثوس نفسه (33). وعلى ذلك يتفق كاتب سيرة القديس فيلاريثوس مع ثيوفانيس في روايتهما لقصة أولى مسابقات الزواج في البلاط البيزنطي، وأنها جاءت نتيجة رغبة الإمبراطورة الأم إيريني في تزويج ابنها قسطنطين السادس، وأن جمال العروس كان العامل الأساسي في اختيارها، ولكن هل تبدو المسألة بهذه البساطة حقًا؟

تتجه جرلاند Garland إلى أن إيريني استحدثت هذا التقليد لاستخدامه وسيلة دعاية لنظامها الحاكم، أو ربما لأن إيريني نفسها اختيرت من قبل عن طريق عرض مشابه عند زواجها من الإمبراطور ليو الرابع (775 - 780م) Leo Iv (34)، في حين يعتقد تريديجولد Treadgold أن إيريني أقدمت على ذلك لحفظ ماء وجه الهيبة والكرامة الإمبراطورية، بعد أن سحب ملك الفرنجة شارلمان Charlemagne وعده بتزويج ابنته روترو Rotrud من قسطنطين السادس، ولتؤكد أن ابنها يمكنه الزواج من أجمل جميلات الإمبراطورية، بدون الحاجة إلى البرابرة الفرنجة (35). ويدلل تريديجولد على صحة رأيه برواية إينهارد

Einhard كاتب سيرة شارلمان، التي تشير إلى أن ملك الفرنجة قرر في منتصف سنة 887م سحب وعده بتزويج ابنته من الإمبراطور البيزنطي<sup>(36)</sup>. غير ثيوفانيس يشير إلى أن رفض إتمام هذه الزيجة جاء من جانب إيريني نفسها، ويؤكد أن هذه الزيجة تمت بضغط منها وضد رغبة الإمبراطور الشاب الذي كان مغرماً بابنة شارلمان، لذلك وصف حالته وقتذاك بأنه "كان محبطاً وغير راغب"<sup>(37)</sup>. ويبدو أن إيريني وجدت في فتاة تنتمي إلى الطبقة الوسطى أفضل بكثير من أميرة فرنجية وابنة أقوى ملوك غرب أوروبا قاطبة؛ وهو الأمر الذي قد يهدد مركزها في مواجهة ولدها ويهدد وصايتها عليه، بل ربما يؤدي إلى فرض وصاية من قبل شارلمان نفسه على مقاليد السلطة في بيزنطة، وعلى ذلك يمكننا تفسير فشل مشروع الزيجة في ضوء طموحات إيريني السياسية<sup>(38)</sup>.

ومع فشل التحالف بين إيريني وشارلمان، حاققت الأخطار بها في الغرب، وثقلت قواتها هزيمة قاسية على يد اللمبارديين في إيطاليا، وأعقبتها هزائم على يد العرب والبلغار في عامي 788 و789م<sup>(39)</sup>، في وقت ساءت العلاقات بينها وبين ولدها، وكما يشير ثيوفانيس: "إن الشيطان الحاقد على نقوى الأباطرة، حرض رجال أشرار على الوقعة بين الأم وليدها، وأقنعوها بأنهم عرفوا من التنبؤات أن: الله أراد ألا ينال ولدك الإمبراطورية، وأن تظل لك بمشيئته ورغبته، ولأنها امرأة فقد خدعت، ولأن طموحها فاق الحدود فقد صدقت تلك الأقاويل، بدون أن تكشف عن غرض أولئك الرجال الحقيقي في السيطرة على مقاليد الدولة"<sup>(40)</sup>. ولا شك في أن اتهام ثيوفانيس، القريب من الأحداث، لمستشاري إيريني يعكس أوضاع القصر الإمبراطوري المقلوبة في ذلك الحين، فقد بدا رجال إيريني، أو بالأحرى خصيانها، بزعامة ستوراقيوس يتحكمون في السلطات كافة، في وقت بات هناك تجاهل تام للوريث الشرعي للعرش الأيسوري، وصاحب الحق في الحكم، وإقصاء لرجال عصرى قسطنطين الخامس وليو الرابع عن المراكز العليا في الدولة.

ويشير ثيوفانيس إلى أن ثمة سخطاً واضحاً على أوضاع القصر، نشأ بين قسطنطين ونفر من حاشيته، وراحوا يدبرون مخططاً سرياً للإطاحة بـستوراقيوس ونفيه إلى صقلية، وإحلال قسطنطين مكانه في الحكم إلى جوار أمه<sup>(41)</sup>. ويبدو أن ذلك لم يكن الهدف الحقيقي، خاصة أن قسطنطين البالغ من العمر السابعة عشرة أصبح من حقه الأفراد بالعرش قانوناً، ومما له دلالة أيضاً أن أحد أهم مؤيديه في هذا المخطط هو بطرس الماچيستروس Peter the Magistros، رجل قسطنطين الخامس، وأحد أنرعه في اضطهاد الأيقونيين في عامي 766 و767م. غير أن هذا المخطط أحبط، وتم اعتقال أقطابه ونفيهم، وعُزل قسطنطين نفسه عن القصر وحُظر عليه الاقتراب منه. ولاشك في أن إيريني أرادت استغلال هذه المؤامرة لتدعيم مركزها، فأصدرت

أمرا إلى الجيش بأن يُقسم أفرادَه وفرقه على عدم المطالبة باعتلاء قسطنطين العرش طيلة حياتها، وأن يُوضع اسمها قبل اسمه في البروتوكول والمراسم، والأهم في عادة هتاف الجنود باسم الأباطرة، ويعلق ثيوفانيس على ذلك بأن أحدا لم يجروا على التلميح بالمعارضة برغم أن كثيرين كانوا يودون ذلك<sup>(42)</sup>.

ولاشك في أن الهزائم العسكرية التي حاقت بالقوات البيزنطية أمام العرب والبلغار والمبارديين في خلال فترة وصاية إيريني، وشيوع حالة من الإحباط والانكسار العسكري بين فرق الجيش، جعلت الأنظار تتجه صوب قسطنطين أملا في أن يحاكي جده وأباه، ويقودهم إلى النصر، فكل من قسطنطين الخامس وليو الرابع امتلك زمام المبادرة ضد العرب، وحققا بعض الانتصارات<sup>(43)</sup>. ولذلك عندما بلغ أمر إيريني بالقسم إلى ثيم أرمينيا<sup>(44)</sup> في سبتمبر 790م، لم يرفض جنوده أداء القسم فقط، بل أصروا على بقاء اسم قسطنطين في الهتاف قبل أمه. وكان رفض جنود ثيم أرمينيا لأمر إيريني بداية تمرد سرعان ما سرت عدواه لتشمل فرق الثيمات الأخرى، وهو تمرد أفقد إيريني التوازن وكلفها كثيرا، فبرغم أنها كلفت ألكسيوس موسيلي Alexios Mouselle قائد فرقة حرسها الخاص بالتفاوض مع ثيم أرمينيا بشأن أداء القسم؛ فإن الأخير تحالف مع جنود الثيم، وألقى القبض على قائده الخصى نففور Nikephore، وأعلنه الجنود قائدا لهم، وقسطنطين إمبراطورا منفردا على بيزنطة. وسرعان ما سرت عدوى تمرد جنود ثيم أرمينيا بين قوات الثيمات الأخرى، فألقت القبض على قادتها من خصيان إيريني، وأعلنت قسطنطين إمبراطورا. وفي أكتوبر 790م بدا الموقف في غير صالح إيريني تماما؛ إذ احتشدت فرق الثيمات، التي تزيد في عددها عن نصف عدد الجيش البيزنطي بأكمله، عند أتروا Atroa في بيشينيا، وأعلنت عزل إيريني، مطالبة بأن يأتيهم قسطنطين ليزفوه إلى القسطنطينية إمبراطورا منفردا<sup>(45)</sup>.

وكعادته راح المؤرخ ثيوفانيس -المتعاطف مع إيريني- يرجع ثورة جنود الثيمات إلى فعل الشيطان، وناح مصير إمبراطورته بقوله: "آه أيها الشيطان اللعين، إنك لا تتردد في تحطيم الجنس البشري بطرائقك الخسيسة، انظر كيف جعلت أولئك الرجال الذين أقسموا في قدس أقداً الكنيسة ألا يحكمهم ولد إيريني طيلة حياتها، ينسون الآن قسمهم"<sup>(46)</sup>. وفي خلال عودة قسطنطين ظافرا إلى القسطنطينية أصدر أوامره بنفى ستوراقيوس الخصى إلى ثيم أرمينيا إرضاء لجنوده هناك، ونفى سائر خصيان إيريني، وتحديد إقامتها وعزلها في قصر إليوثيريوس Eleutherios، الذي كانت قد شيدته على الميناء الذي يحمل الاسم نفسه<sup>(47)</sup>.

هكذا؛ تسنم قسطنطين سدة العرش منفردا أول مرة، وتوارت إيريني عن الأضواء إلى حين، وكان على الإمبراطور أن يثبت للجميع أن أحوال الإمبراطورية قد تبدلت أو في سبيلها إلى ذلك، وكان عليه أن يُرضى الفرق العسكرية التي أتت به إلى العرش، وقويت شوكته في مواجهة أمه، بتحقيق انتصارات تزيل حالة الإحباط والانكسار العسكري التي لازمتها طيلة فترة وصاية إيريني. بيد أن قسطنطين لم يكن ذلك الرجل الذي عقدت عليه الآمال؛ إذ سرعان ما أثبتت الأحداث اللاحقة ضعف جانبه، حقيقة أنه استهل عهده الجديد بما كان مضطرا إليه من القيام بتحريك ضد عدوى الإمبراطورية الخطيرين، العرب والبلغار. غير أن هذا التحرك تمثل في مواجهة ضعيفة مع البلغار، وحملة لم تحقق شيئا مع العرب المسلمين<sup>(48)</sup>.

وجاء خطأ قسطنطين الأكبر الذي ينم عن سذاجة سياسية واضحة، ذلك عندما تناسى الرصيد المتراكم من الصراع مع أمه، وأعلن لأسباب غير واضحة قراره بإعادة إيريني إلى الأضواء ثانية بوصفها حاكما شريكا، ورد لها لقبها بوصفها إمبراطورة، وأعاد عرف الهتاف لها بعده، واستدعى مستشارها ستوراقفوس من منفاه ليأخذ مكانه في الحكومة الإمبراطورية ثانية. وإذا كان ثيوفانيس قد برر تصرف قسطنطين بأنه جاء بعد توسلات وتضرعات منها ومن كثيرين ممن كانوا في السلطة<sup>(49)</sup>؛ فإن العاطفة وحدها لم تكن تكفي لإدارة شئون إمبراطورية كبيزنطة. وربما أدرك قسطنطين أنه حمل تركة مثقلة لم يعتد عليها من أخطار خارجية ومشاكل داخلية، أو لعله لم يكن منذ البداية راغبا في إقصاء أمه عن الحكم بصورة تامة، ولعل الترجيح الأخير يعيد إلى الأذهان رواية ثيوفانيس عن مخططة الأول بأنه لم يكن موجها ضد إيريني بقدر ما كان يهدف إلى إقصاء ستوراقفوس وتبوؤ مكانته إلى جوار الإمبراطورة الأم<sup>(50)</sup>، وربما يدعمه أيضا أن قسطنطين بعد اعتلائه العرش منفردا لم يقص أمه بصورة تامة، بل استمرت العملة تحمل صورتها واسمها<sup>(51)</sup>، ولعله أراد فقط مجرد تنبيه أمه إلى سوء عاقبة تهميشه وتجاهله، وعندما تحقق من أن رسالته قد بلغت، أعادها ثانية إلى السلطة.

وأيا كانت المبررات التي جعلت قسطنطين يصفح عن أمه، فلا شك في أن هذا الإجراء جلب عليه مشكلات جمة من قبل الفرق العسكرية التي أتت به إلى العرش، خاصة فرق ثيم أرمنيا، والغريب أن إيريني التي عادت لتؤدي دورا مؤثرا في الحكم لم تحفظ لولدها الجميل، بل راحت بمساعدة خصيها ستوراقفوس تروج نيران المعارضة ضده. وعلى حد تعبير ليندا جرلاند Lynda Garland "إذا كان قسطنطين طيعا وسادجا، فقد أثبتت إيريني أنها الأسوأ"<sup>(52)</sup>. وكانت أولى المشكلات التي واجهت قسطنطين جراء هذا القرار، أن فرق ثيم أرمنيا رفضت الإذعان، واثارت

معلنة قائدها ألكسيوس موسيلي إمبراطورا، في وقت كان الأخير في القسطنطينية؛ وهو الأمر الذي أدى إلى اعتقاله وإلقائه في معتقل برايتوريوم<sup>(53)</sup>.

وبعد هزيمة قاسية تعرضت لها القوات البيزنطية في حربها مع البلغار يوليو 792م التي قاتل فيها عدد من كبار القادة، احتشدت قوات التاجماتا في القسطنطينية، وأعلنت نفقور شقيق ليو الرابع إمبراطورا؛ وهو الأمر الذي دفع قسطنطين إلى اعتقاله وسمل عينيه وقطع السنة أعماه الأربعة، ولم يكتف بذلك بل عمد، بتحريض من أمه ومستشارها ستوراقيوس، إلى سمل عيني ألكسيوس موسيلي اللذين أوعزا إليه بأن الأخير يطمح في الاستيلاء على العرش<sup>(54)</sup>.

هكذا ؛ تخلص قسطنطين من الأشخاص الذين قد يتطلعون إلى العرش كافة. ولا شك في أنه بذلك خسر دعم مؤيديه وأنصاره، سواء كبار رجال الدولة الموالين للأسرة الأيسورية، أو فرق الثيمات التي أتت به إلى العرش منفردا. ويبدو أن هذا ما أرادته إيريني وخصيها ستوراقيوس، فقد تعمدا إثارة مخاوف قسطنطين الساذج ضد أقرب مؤيديه لسلبه إياهم، ومن ثم يكونان قد أصابا عصفورين بحجر واحد؛ إضعاف جانب قسطنطين، والانتقام من مؤيديه الذين لعبوا الدور الأكبر في خلعهما من السلطة عام 790م. وسرعان ما ظهرت نتائج تصرفات قسطنطين، فعندما أرسل رجله ثيودور كاموليانوس Theodore Kamoulianos ليحل محل موسيلي في قيادة ثيم أرمينيا، علم جنود الثيم بما حل بقائدهم السابق، فأعلنوا التمرد واعتقلوا قائدهم الجديد، فما كان من قسطنطين إلا أن عهد لاثنين من قاداته بمهمة إخماد التمرد في نوفمبر 792م، غير أن مهمة القائدين باءت بالفشل، وتم سمل عينيها على أيدي جنود الثيم، واضطر قسطنطين إلى حشد سائر قوات الثيمات الأخرى وقادها بنفسه في مايو 793م، وألحق بثيم أرمينيا هزيمة مروعة، وأعمل في قاداته وجنوده قتلا ومصادرة ونفيا<sup>(55)</sup>. ولاشك في أن هذه الحملة قضت على ما كان قد تبقى من ولاء أكثر القوات تأييدا لقسطنطين ومصالحه، والأهم أخطر أعداء إيريني وخصيانها، وحملت رسالة إلى فرق الجيش الأخرى بأن تأييد ثيم أرمينيا لقسطنطين لم يرد إليه إلا بإنكار الجميل.

ولا شك في أن انقلاب قسطنطين على أقرب مؤيديه جلب له سخط كثيرين، وأطلق في الوقت نفسه لإيريني العنان لتوريطه في ارتكاب مزيد من الأخطاء السياسية. وكانت فترة الحكم المشترك كما وصفها إحدى الحوليات التاريخية، المعروفة بـ Historia Syntomos، المنسوبة إلى ميخائيل بسللوس، أشبه بساحة الحرب: "كل منهما يتقدم نحو الآخر يضرب ثم يُضرب، كر وفر، الآن الأم غدا الابن، وهكذا دواليك، إلى أن انتهى الصراع بينهما بكارثة لكليهما"<sup>(56)</sup>.

وجاءت إشكالية الزواج الثاني لتمثل عاملاً إضافياً لزيادة الاستياء من سلوك قسطنطين السادس، والمصادر المعاصرة تقدم انطباعات بأن قسطنطين السادس امتلاً مقتاً وكراهية لزوجته ماريّا حفيدة فيلاريثوس التي فرضت عليه من قبل أمه - كما ذكر سابقاً - برغم أنه كان يهودى روتروود ابنة شارلمان. فيذكر ثيوفانيس أن "الإمبراطور الذي امتلاً بغضا لزوجته بسبب مكائد أمه، أجبرها على دخول الدير في يناير 795م"<sup>(57)</sup>، في حين يذكر إجناتيوس الشماس كاتب سيرة البطريرك تاراسيوس أن قسطنطين حاول التخلص من زوجته فاتهمها بتدبير مؤامرة لقتله بالسّم، غير أن قصته لم تجد تصديقا من قبل كثيرين، فهدد بإعادة اللايقونية إذا لم يسمح له بالانفصال عنها والزواج بأخرى<sup>(58)</sup>.

وأيا كان المحرض الحقيقي لقسطنطين على هذه الزيجة، كراهيته لزوجته أو تدبير أمه، أو كلاهما معا، فلا شك في أنه كان قد تورط في علاقة آثمة مع إحدى وصيفات أمه، تدعى ثيودوتي Theodote، وليس بعيدا عن التصديق أن تكون إيريني هي المخطط الأول لقيام هذه العلاقة؛ رغبة منها في توريط ابنها وجلب استياء الكنيسة والشعب ضده. وبعد أن أحرز قسطنطين نصرا محدودا على المسلمين في مايو 795م، ظن أن مكانته بعد هذا النصر تؤهله لإعلان ثيودوتي أوغسطا (إمبراطورة) في شهر أغسطس، وهو اللقب الذي لم تحمله زوجته الأولى، والزواج بها في الشهر التالي، بعد أن استمرت الاحتفالات أربعين ليلة<sup>(59)</sup>.

والواقع أن زواج قسطنطين من ثيودوتي لم يكن فقط المحرك الأكبر لاستياء الرأي العام منه، بل كان أيضا سببا رئيسيا لتأليب عداة رجال الدين ضده، وكان احتفاله المبالغ فيه بهذا الزواج عاملاً إضافياً لزيادة الغضب. وبرغم أن قسطنطين حاول تجنب الدخول في خلاف مع الكنيسة وقوانينها التي تحرم الزواج الثاني؛ فإن الجدل أثير بالفعل حول شرعية هذه الزيجة، فتاراسيوس بطريرك القسطنطينية سعى منذ البداية إلى التهرب من التورط في هذا الأمر، ولم يباشر طقوس الزواج بنفسه. غير أن الرهبان ورؤساء الأديرة اتهموه بالتخاذل في التعامل مع القضية<sup>(60)</sup>؛ وهو الأمر الذي دفع قسطنطين إلى استخدام القسوة في التكتيل بهم؛ لذا فقد تأييد رجال الدين والرهبان أيضا<sup>(61)</sup>.

هكذا اكتملت خيوط خطة إيريني بنجاح كبير، فقد استطاعت أن تستغل سداجة قسطنطين وأهواءه في إثارة الرأي العام ضده، وباتت الآن في وضع يسهل معه التخلص من ولدها بمباركة شعبية وكنسية، ولم يعد أمامها ما يحول دون البدء في تنفيذ الخطة، خاصة وأن قسطنطين رزق بوريث للعرش، وبدأت التنفيذ في وقت كان الابن في حملة عسكرية على الحدود الشرقية يلزمه رجال أمه، وعلى رأسهم ستوراقويوس، ولكي تُحبك إيريني خطتها، سعت إلى كسب

جانب تاجماتا القسطنطينية، وعلى حد قول ثيوفانيس: "استدعت الأم قادة التاجماتا، وأغرثهم بالوعود والهدايا إن هم ساعدوها على عزل ابنها وتنصيبها حاكما مطلقا. وفاوضت بعضا منهم بصورة شخصية، وبعضا آخر عن طريق رجال حاشيتها، وكسبتهم جميعا إلى جانبها، وأخذت تتحين اللحظة المناسبة"<sup>(62)</sup>.

وجاءت اللحظة المناسبة، عندما كان قسطنطين في حملة على الحدود الشرقية، يصاحبه عدد من رجال إيريني، على رأسهم الخصى ستوراقبوس؛ إذ قاموا باعتقاله وأحضره إلى العاصمة، وسُجن في الحجرة التي شهدت ولادته، وفيها تم تحطيم مستقبله السياسي؛ إذ سُمِلت عيناه يوم 15 أغسطس 797م بطريقة وصفها ثيوفانيس بأنها وحشية، وهكذا سقط قسطنطين السادس "ميتا تحت أقدام أمه ومستشاريها"<sup>(63)</sup>.

وقد جلب صنيع إيريني بولدها استياء عدد كبير من الباحثين المحدثين، فتعلق ليندا جرلاند عليها بقولها: "لاشك في أن إيريني لن تستطيع بأى حال أن تتهرب من مسئولية هذه الفعل، فقد خططت لهذه الخاتمة المأساوية، وكانت واعية عند إصدارها قرار سمل عيني وليدها، وأيا كانت شعبية قسطنطين، فإن الفعله جلبت استياء شعبيا كبيرا، وثيوفانيس يخبرنا بأن الشمس أظلمت سبعة عشر يوما، وأن كل مواطن في الإمبراطورية يدرك أن ذلك غضب إلهي على فعله الإمبراطورة"<sup>(64)</sup>، وأيا كان سبب موت قسطنطين، بالسمل أو القتل، فالمؤكد أن إيريني باتت الآن حاكما مطلقا"<sup>(65)</sup>. كذلك علقت الدكتورة عليّة الجنزوري على فعله إيريني بقولها: "أما مدى نجاحها بوصفها أما، فالواقع أنها في رأينا أخفقت تماما، وإلا لما وصلت بأنانيته وتعطشها الجامح للحكم والسلطة والنفوذ إلى حد الحكم على ابنها بالعيش في ظلام دامس بقية حياته لتتعم هي بنور الحكم وجبروته"<sup>(66)</sup>.

وعند هذه النقطة؛ ربما يكون من الأفضل مناقشة رؤية المصادر العربية لحادثة سمل عيني قسطنطين السادس، وهي مذهلة في كثير من جوانبها؛ فالأصفهاني في كتاب الأغاني يرجع دافع إيريني إلى أنها خشيت على الإمبراطورية من قوة الخليفة العباسي هارون الرشيد، لذلك خلعت ابنها وسملت عينيه وانفردت بشئون الحكم"<sup>(67)</sup>. وبصورة مشابهة، يشير المسعودي إلى أن قسطنطين السادس بات ظالما وطاغية، وقطع معاهدة السلام مع الخليفة العباسي، ولأن طغيان قسطنطين وظلمه بات واضحا لرعاياه، ولأن إيريني خشيت من قوة الخليفة، أمرت بتقريب مرآة ساخنة من عيني ابنها فأعمى"<sup>(68)</sup>. كذلك يشير ابن الأثير: لما كبر ابنها قسطنطين أقسد ما بينه وبين الرشيد، وكانت أمه مهادنة له، فقصده الرشيد وجرى له معه وقعة، فانهزم، وكاد يؤخذ فكحلته أمه"<sup>(69)</sup>.

وعلى ذلك تم تفسير حادثة سمل عيني قسطنطين السادس في المصادر العربية في ضوء العلاقات الإسلامية البيزنطية، ففعلة إيريني لم تقسر بطموحها السياسي، بل باتت في رؤية المصادر العربية تصرفاً يدل على حكمة سيدة دولة وضعت مصائر الإمبراطورية فوق أي اعتبار آخر، وأن ما حدث لقسطنطين كان ضرورياً لحماية بيزنطة من خطر جارها العباسي القوي، خاصة مع طغيان قسطنطين وسياسته العدائية ضد المسلمين.

أما المصادر الشرقية الأخرى، فقد كان لها رأي آخر حول دافع إيريني، فميخائيل السرياني وابن العبري عدا الدافع المباشر لسمل عيني قسطنطين السادس ما نقله أمراء الجيش المصاحب له في حربه ضد البلغار لأمه من أنه بعد أن تقدم إلى تراقيا "استسلم للفسق والفجور وإدمان الخمر"، فوعدتهم إيريني بأنها ستوقفه عن الحكم، لذلك سملت عيناه فور وصوله إلى بيزنطة<sup>(70)</sup>.

على أية حال؛ كانت تلك نهاية قصة صراع دار بين أم وولدها من أجل العرش، صراع تجردت فيه إيريني من مشاعر الأمومة الفطرية، فقد أغواها بريق العرش وخطف لبها، وراحت تبذل كل ما في وسعها من طرق شرعية وغير شرعية لتصبح إمبراطورا مطلقا. ولا شك في أنها نجحت في ذلك، غير أن هذا النجاح لم يبرر لها جرمها في أروقة محكمة التاريخ.



1- Oxford Dictionary of Byzantium, Oxford, 1991, vol. II, p.1008

<sup>2</sup> - رفعت إيريني عددا من أفراد أسرتها في فترة لاحقة إلى مراكز متميزة، فقد زوجت ابنة عم لها من خان البلغار تيليريك Telerik، وقرينة أخرى لها زوجت من الإمبراطور القادم ستاوراقيوس Staurakios، وعين عمها قسطنطين سارانتابيخوس Constantine Sarantapechos قائدا لثيم اليونان Helladics، وشارك ابنه السباتاريوس Spatharios (حامل السيف) ثيوفلاكت Theophylact the Spatharios في قمع ثورة أبناء قسطنطين الخامس عام 799م.

Theophanous, The Chronicle of Theophanous Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD. 284-813, trans. C. Mango & R. Scott, Oxford, 1997, pp. 651,664 .

<sup>3</sup> - عائشة سعيد أبو الجدايل، المرأة والسلطة في العصور الوسطى، حوليات مركز البحوث التاريخية، تصدر عن مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الحولية الأولى - الرسالة الثانية، محرم 1423هـ / إبريل 2002م، ص51.

4- Herrin ,J., Theophano: Considerations on the Education of a Byzantine Princess, in: The Empress Theophano: Byzantium and the West at the turn of the First Millenium, ed. A. Davis, Cambridge, 1995, pp. 64-85, esp. p. 66.

5- Theophanes, 664 n. 4; Treadgold, W., The Bride Shows of the Byzantine Emperors, Byzantion 49 (1979), pp. 395-413.

وانظر أيضا: عبد العزيز رمضان، عروض زواج العرائس في البلاط البيزنطي 788-882م: الدلالات السياسية والدينية، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، العدد الثاني، القاهرة، 2002م، ص75-88.

6- Theophanes, p.619; Nikephoros. Patriarch of Constantinople, Short History, ed. & trans. C. Mango, Washington DC, 1990, p.88; Leo Grammaticus, Chronographia, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn,1842, pp. 188,190.

7- Theophanes, p.619; Nikephoros, pp. 80-1,83-84.

8- Theophanes, p.626. n. 9; Leo Grammaticus, p.192.

عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة، 2005م، ص101 .

9- Theophanes, p.627; Leo Grammaticus, p.193.

عليه الجنزوري، الإمبراطورة إيرين، القاهرة، 1981، ص20-21.

10- Life of St. Anthousa, Daughter of Constantine V, trans. N. Constas, in: Byzantine Defenders of Images: Eight Saints Lives in English Translation, ed. A-M. Talbot, Washington DC., 1998, pp. 21-24, esp. 23.

11- Garland, L., Byzantine Empresses: Women and Power in Byzantium AD. 527-1204, New York, 1999, pp. vii-viii.

- علية عبد السميع الجنزورى، المرأة فى الحضارة البيزنطية، القاهرة، 1982م، ص247-249؛ عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص119-120.
- 12- عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص127-128.
- 13- Grierson, P., Byzantine Coins, London, 1982, p.158; Treadgold, W., The Byzantine Revival 780-842, Stanford, 1988, p. 60.
- 14- McCormick, M., Byzantium and The West, 700-900AD., in: The New Cambridge Medieval History, vol. 2, ed. R. McKitterick, Cambridge, 1995, pp. 349-380, esp. 365.
- 15- Theophanes, 628;
- عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع، ص51.
- 16- Theophanes, p.627.
- 17- Theophanes, p.628.
- 18- Theophanes, p.629.
- علية الجنزورى، الإمبراطورة إيرين، ص20.
- 19- Theophanes, p.629.
- 20- Arvites, J., The Defense of Byzantine Anatolia during the Reign of Irene 9780-802, in: Armies and Frontiers in Roman and Byzantine Anatolia, ed. S. Mitchell, Oxford, 1983, pp. 219-237, esp. 255; Tritle, L. A., Tatzates Flight and the Byzantine-Arab Peace Treaty of 782, Byzantion 47(1977), pp. 279-300.
- 21- Theophanes, p.630; Leo Grammaticus, p.194.
- 22- Theophanes, p.631; Leo Grammaticus, p.194.
- 23- Theophanes, p.627.
- 24- الواقع أن إيريني خططت لهذا الاختيار ببراعة وحذق، فتاراسيوس رجل علمانى ليست له خبرة بالشئون الدينية، كما عرف عنه ميله إلى عبادة الأيقونات، كما أنه كان قبل تنصيبه بطريركا سكرتيرا خاصا لإيريني ومحل ثقته. انظر: علية الجنزورى، الإمبراطورة إيرين، ص23.
- 25- Theophanes, pp. 634-635; Ignatios the Deacon, The Life of the Patriarch Tarasios, trans. S. Efthymiadis, Aldershot, 1998, p.177.
- علية الجنزورى، الإمبراطورة إيرين، ص24.
- 26- Theophanes, p.610-611; Kaegi, W., The Byzantine Armies and Iconoclasm, Byzantino Slavica 27(1966), pp. 48-70, esp. 53-61.

27- كانت التسمية أوبسقي تعني "الفرق التي تسبق الإمبراطور لحمايته وتشريفه؛ أي فرقة الحراسة، ولذلك ارتبط هذا الثيم بالحرس الإمبراطوري. انظر: طارق منصور، الأقاليم البيزنطية في ضوء كتاب قسطنطين بورفيروجينيتوس "عن الأقاليم البيزنطية"، بحث في كتاب قطوف من الفكر البيزنطي، القاهرة 2002م، ص 157.

28- Theophanes, p.636; Arvites, Byzantine Anatolia .p. 227.

29- Theophanes, p.636.

30- Theophanes, pp. 636-637.

علية الجنزوري، الإمبراطورة إيرين، ص 26-27؛ إبراهيم على طرخان، الحركة اللايقونية في الدولة البيزنطية، القاهرة، 1956م، ص 23-24.

31- La vie de S. Philarete, ed. et trad. Franc. M. H. Fourmy & M. Leroy, B, 9(1934), pp. 85-107, esp. 98: Ryden, L., "The Revised Version of the Life of St. Philaretos the Merciful" and the "Life of St. Andreas Salos", Analecta Bollandiana, 100 (1982), pp. 485-95, esp. 48.

32- Theophanes, p.637.

33- S. Philarete, pp. 135 43; Gerland, Women and Power, p.81; Treadgold, Bride-Shows, pp. 398-9.

34- Gerland, Women and Power, pp. 73, 81.

تعتمد جرانلد في افتراضها الثاني على أنه لا توجد أسباب واضحة لاختيار إيريني عروسا للإمبراطور ليو الرابع؛ إذ كانت فتاة يتيمة تنتمي إلى أسرة سارنتايبخوس الأثينية غير المشهورة، ولكنها في الوقت ذاته تؤكد عدم وجود دليل دامغ على مشاركة إيريني في مثل هذا النوع من العروض. انظر كذلك: عبد العزيز رمضان، عروض زواج العرائس، ص 75-78.

35- Treadgold, Bride- Shows, pp. 396-7.

عبد العزيز رمضان، عروض زواج العرائس، ص 75-78.

36- اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة: عادل زيتون، دمشق، 1988 م، ص 120، 122-123.

ويذكر اينهارد أن سبب عدم إتمام شارلمان هذه الزيجة هو تعلقه الشديد ببنته، إلى الدرجة التي جعلته لا يستطيع أن يؤدي عملاً من الأعمال إلا إذا كن في صحبته، ففرض عليهن التزام القصر، وحرّم عليهن مغادرته، كما أنه لم يجز لهن الزواج. انظر كذلك: السيد الباز العريني، اينهارت، القاهرة، 1957م، ص 21-22.

37- Theophanes, pp. 637-8.

عبد العزيز رمضان، عروض زواج العرائس، ص 78.

38- عبد العزيز رمضان، عروض زواج العرائس، ص 78.

39- Theophanes, pp. 637-638.

- 40- Theophanes, pp. 638-639.
- 41- Theophanes, p.639.
- 42- Theophanes, p.639.
- 43- Arvites, Byzantine Anatolia, p.221.
- 44- ثيم الأرمنيقي، يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد الإمبراطور هرقل لمواجهة الفرس، وكان يتكون من الفرق البيزنطية التي كانت ترابط في أرمينيا البيزنطية، ثم انسحبت بعد فتح العرب للشام ولأرمينيا، وقد اهتم البيزنطيون بهذا الثيم لمواجهة بعض المنافذ التي سلكتها جيوش المسلمين في إغاراتهم الصيفية والشتوية على آسيا الصغرى. وكان يحكم هذا الثيم قائد عسكري يلقب "استراتيجوس الأرمنيقي". انظر: طارق منصور، الأقاليم البيزنطية، ص150-153.
- 45- Theophanes, pp. 640-641; Leo Grammaticus, pp. 196-197.
- 46- Theophanes, p.641.
- 47- Theophanes, p.641.
- 48- Theophanes, pp. 641-643.
- 49- Theophanes, p.642.
- 50- Theophanes, p.639.
- 51- Grierson, Byzantine Coins, p.160.
- 52- Garland, Women and Power, p.83.
- 53- Theophanes, p.642; Leo Grammaticus, p.197.
- 54- Theophanes, p.643.
- 55- Theophanes, p.644.
- 56- Garland, Women and Power, p.84.
- 57- Theophanes, p.645.
- 58- Ignatios the Deacon, Tarasios, pp. 188-192.
- 59- Theophanes, p.646.
- 60- Ignatios the Deacon, Tarasios, p.192.
- 61- علية الجنزوري، الإمبراطورة إيرين، ص45-46.
- 62- Theophanes, p.648.
- 63- Theophanes, p.649; Leo Grammaticus, pp. 199-200.
- 64- Theophanes, p.649.

65- Garland, Women and Power, p.86.

66- عليّة الجنزوري، الإمبراطورة إيرين، ص67.

67- الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج4، ص243.

68- المسعودي، التنبيه والإشراف، ج1، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2000م، ص284.

69- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، بيروت 1385هـ/ 1965م، ص161.

70- ابن العبري، تاريخ الزمان، ترجمة: إسحق رملة، بيروت، 1991م، ص15؛ تاريخ ميخائيل السرياني، ترجمة: مار غريغوريوس، حلب، 1996، ص432؛ عليّة الجنزوري، الإمبراطورة إيرين، ص48-49.

## المصادر والمراجع

### أولاً- المصادر والمراجع العربية والمعرية:

- إبراهيم على طرخان، الحركة الأيقونية فى الدولة البيزنطية، القاهرة، 1956م.
  - ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج6، بيروت 1385هـ/ 1965م.
  - السيد الباز العريني، إينهارت، القاهرة، 1957م.
  - إينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة: عادل زيتون، دمشق، 1988 م.
  - عائشة سعيد أبو الجدايل، المرأة والسلطة فى العصور الوسطى، حوليات مركز البحوث التاريخية، تصدر عن مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الحولية الأولى- الرسالة الثانية، محرم 1423هـ/ إبريل 2002م.
  - عبد العزيز رمضان، عروض زواج العرائس فى البلاط البيزنطى 788-882م: الدلالات السياسية والدينية، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط العدد الثانى، القاهرة، 2002م، ص75-88.
  - عبد العزيز رمضان، المرأة والمجتمع فى الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة، 2005م.
  - ابن العبري، تاريخ الزمان، ترجمة: إسحق رملة، بيروت، 1991م.
  - عليّة الجنزورى، الإمبراطورة إيرين، القاهرة، 1981م.
  - عليّة عبد السميع الجنزورى، المرأة فى الحضارة البيزنطية، القاهرة، 1982م.
  - طارق منصور، الأقاليم البيزنطية فى ضوء كتاب قسطنطين بورفيروجينيتوس "عن الأقاليم البيزنطية"، بحث فى كتاب قطوف من الفكر البيزنطى، القاهرة 2002م.
  - المسعودي، التنبيه والإشراف، ج1، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2000م.
  - ميخائيل السرياني، تاريخ ميخائيل السرياني، ترجمة: مار غريغوريوس، حلب، 1996.
- ثانياً- المصادر والمراجع الأجنبية:

- Anthousa, Life of St. Anthousa, Daughter of Constantine V, trans. N. Constan, in: Byzantine Defenders of Images: Eight Saints Lives in English Translation, ed. A-M. Talbot, Washington DC., 1998, pp. 21-24 .
- Arvites, J., The Defense of Byzantine Anatolia during the Reign of Irene 9780-802, in: Armies and Frontiers in Roman and Byzantne Anatolia, ed. S. Mitchell, Oxford, 1983, pp. 219-237 .
- Garland, L., Byzantine Empresses: Women and Power in Byzantium AD. 527-1204, New York, 1999 .
- Grierson, P., Byzantine Coins, London, 1982 .

- Herrin ,J., Theophano: Considerations on the Education of a Byzantine Princess, in: The Empress Theophano: Byzantium and the West at the turn of the First Millenium, ed. A. Davis, Cambridge, 1995, pp. 64-85 .
- Ignatios the Deacon, The Life of the Patriarch Tarasios, trans. S. Efthymiadis, Aldershot, 1998 .
- Kaegi, W., The Byzantine Armies and Iconoclasm, *Byzantino Slavica* 27(1966), pp. 48-70 .
- Kazhdan, A., (ed. ), *Oxford Dicionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford, 1991 .
- Leo Grammaticus, *Chronographia*, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn,1842 .
- McCormick,M., Byzantium and The West,700-900AD., in: *The New Cambridge Medieval History*, vol. 2, ed. R. McKitterick, Cambridge, 1995, pp. 349-380 .
- Nikephoros. Patriarch of Constantinople, *Short History*, ed. & trans. C. Mango, Washington DC, 1990 .
- Philaretos, *La vie de S. Philarete*, ed. et trad. Franc. M. H. Fourmy & M. Leroy, Byzantion, 9(1934), pp. 85-107.
- Ryden, L., “The Revised Version of the Life of St. Philaretos the Merciful” and the “Life of St. Andreas Salos”, *Analecta Bollandiana*, 100 (1982), pp. 485-95.
- Theophanes, *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD. 284-813*, trans. C. Mango & R. Scott, Oxford, 1997, pp. 651,664 .
- Treadgold, W., *The Bride Shows of the Byzantine Emperors*, *Byzantion* 49(1979), pp. 395-413 .
- Treadgold, W., *The Byzantine Revival 780-842*, Stanford, 1988 .
- Tritle, L. A., *Tatzates Flight and the Byzantine-Arab Peace Treaty of 782*, *Byzantion* 47(1977),pp. 279-300.

